

ظاهرة التحزب في مجال الدعوة إلى الله
(المفاهيم-الصور-الأسباب-الآثار-المسئولية)

The Phenomenon of Partisanship in the Field of Islamic Da'wah
(Concepts, Manifestations, Causes, Consequences, and Responsibi)

10.35781/1637-000-127-004

الباحث/ محمد محمد قاسم النورستاني

المخلص

ذي لب وصاحب علم وفقه الاعتراف بوجود هذه الظاهرة، ومعالجتها بميزان المنهج السوي الذي كان عليه الصحابة والتابعين. 2. مستقبل الدعوة الإسلامية يواجه الصعوبات وعراقيل حقيقية نتيجة؛ لانتشار روح التحزب والتفرق بسبب البعد عن منهج السوي أساسها التوحيد؛ فيجب على الدعاة والجماعات المنتسبة إلى الدعوة أولوية الدعوة إلى التوحيد. 3. الإهمال في جناب الدعوة إلى التوحيد؛ سبب رئيسي في صناعة الفرقة والتحزب، والمؤدي إلى ضعف الإسلام ودعوته. 4. أسهمت الظاهرة الحزبية في تأجيج روح العداء والصراع بين الجماعات الإسلامية؛ حتى سعت كل جماعة لاحتكار المشروع الإسلامية لنفسها ونفيها عن الآخرين.

5. مسئولية العلماء والدعاة في بيان آفة التحزب والتفرق قائمة؛ فإن الدعوة الإسلامية لن تثمر ولن تنجح ما دام هناك انقسامات طائفية وحزبية، وبدورهم معالجة هذه الظاهرة في بيان الحق بالكتاب والسنة.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة التحزب، مجال،

الدعوة.

تطرق البحث لظاهرة التحزب المعاصرة، مبيناً خطورتها على الدعوة والدعاة، وشخصنة صورها وأسباب نشوئها في الأمة، وما نتج عن ذلك من المساوئ على الساحة المجتمعية والتي يتنافى مع المنهج النبوي في الدعوة، مما يتطلب دور العلماء والدعاة تجاه هذه الظاهرة التي ابتليت به الأمة الإسلامية، والتي يتعارض منهاجها مع المنهج الوسطي المعتدل الذي سار عليه سلف هذه الأمة.

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، والوصفي.

وقد تضمن البحث الآتي:

المدخل: مفاهيم بمفردات البحث.

المطلب الأول: صور الافتراق والتحزب، وخطورتها.

المطلب الثاني: أسباب التحزب والتفرق.

المطلب الثالث: آثار التحزب على الدعوة والدعاة.

المطلب الرابع: مسئولية الدعاة تجاه التحزب.

أهم النتائج:

1. الظاهرة الفكرية في صورة التحزب والفرق متفشية في أوساط الجماعات الإسلامية وحرى لكل

The Phenomenon of Partisanship in the Field of Islamic Da'wah (Concepts, Manifestations, Causes, Consequences, and Responsibi)

Muhammad Muhammad Qasim Al-Nuristani

Abstract

This study explores the contemporary phenomenon of partisanship within Islamic da'wah, shedding light on its dangers to both the message and the messengers. It analyzes its manifestations, underlying causes, and the detrimental consequences it has produced within Muslim communities—consequences that stand in stark contrast to the Prophetic methodology in da'wah. The paper calls for a greater sense of responsibility among scholars and preachers in confronting this divisive trend, which afflicts the Muslim Ummah and contradicts the balanced, moderate approach upheld by the righteous predecessors.

The research adopts both inductive and descriptive methods.

Introduction:

Definition of key concepts and terminologies relevant to the study.

Section One:

Manifestations of division and partisanship, and their dangers.

Section Two:

Causes of partisanship and division.

Section Three:

Effects of partisanship on Islamic da'wah and its practitioners.

Section Four:

The responsibility of scholars and preachers regarding partisanship.

Key Findings:

1.The intellectual phenomenon of partisanship and sectarianism is prevalent among Islamic movements, and it is incumbent upon people of knowledge and understanding to acknowledge this reality and address it using the sound methodology of the Prophet's Companions and their followers.

2.The future of Islamic da'wah faces real obstacles due to the spread of partisanship and division, stemming from a departure from the sound methodology rooted in the call to monotheism. Thus, da'wah groups must prioritize the message of tawhid.

3.Neglecting the centrality of tawhid in da'wah is a fundamental cause of division and partisanship, leading to the weakening of both Islam and its missionary efforts.

4.Partisan dynamics have fueled hostility and conflict among Islamic groups, with each group attempting to monopolize Islamic legitimacy and deny it to others.

5.Scholars and preachers bear a great responsibility in exposing the dangers of partisanship and division. Islamic

da'wah cannot bear fruit or achieve success as long as sectarian and partisan divisions persist; hence, it is their duty to confront this issue by conveying the truth through the Qur'an and Sunnah.

Keywords: Phenomenon Partisanship , Field , Da'wah.

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران، 103).

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الأمر بالاجتماع والائتلاف والنهاي عن الفرقة والافتراق، كما جاء في صحيح مسلم من حديث سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"⁽¹⁾، وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن سار على دربهم إلى يوم الدين ... وبعد:

وتذكيراً لما عهد له الأولون بالاعتصام على الكتاب والسنة، ونبذ الفرقة والاختلاف، وما ابتليت به الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى وجه الخصوص في وقتنا الحاضر؛ رأيت أن استعرض شيئاً من أهميتها، وبيان خطورة الاختلاف فيها، راجياً الله أن يهدينا إلى سواء السبيل، وعنوانها "ظاهرة التحزب في الدعوة إلى الله تعالى" المفاهيم-الصور-الأسباب-الآثار-المسؤولية".

1. موضوع البحث:

سيتناول البحث مشكلة عصرية تعاني منها المجتمعات الإسلامية عموماً، والساحات الدعوية خصوصاً، حيث تناول البحث مفاهيم ظاهرة التحزب المعاصرة، مع بيان الفرق، ومساوئها على الساحة المجتمعية والتي يتنافى مع المنهاج الدعوي، وما يتطلب دور الدعوة والدعاة تجاه البلية الظاهرة التي

(1) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحق، (1340/3)، (برقم:1715).

ابتليت به الأمة الإسلامية، والتي يتعارض منهاجها مع المنهج الوسطي المعتدل الذي سار عليه سلف هذه الأمة، والتي لا يقبل بأي حال من الأحوال من أشكال هذه الظاهرة.

2. أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لفت نظري في هذا البحث جملةً من الأسباب، ومن الأهمية التي ينبغي توضيحها في سياق الموضوع، والتي يكتسب البحث أهميته منها على النحو الآتي:

1. أن الموضوع يتناول ظاهرة فكرية في المجتمعات الإسلامية، من أبرز الظواهر الفكرية انتشارا في أوساط الجماعات الدعوية المعاصرة والتي تكاد تفتك بها.

2. آفة ظاهرة التحزب من أسوأ الآفات التي تفشت في العمل الدعوي وشاعت الأنشطة الحركية للجماعات الإسلامية على نحو يجعلها بحاجة ماسة إلى وقفات شرعية ومعالجة فكرية جادة مع بيان المفاهيم والأسباب والآثار والمسؤولية تجاهه.

3. بعض الجماعات الدعوية لا يحسبون خطورة التفرق والتحزب، بل بعضهم لا يعترف بوجوده أو لا يكثرث لحضوره.

4. أن هذا الموضوع بحاجة إلى الاهتمام والدراسة بحيث لم تجري عليه الدراسات بما يكفي، ما لفت نظري لهذا البحث الجدير بالاهتمام لما يشغل الساحات الدعوية المعاصرة من هذه الظاهرة.

3. أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في الجوانب الآتية:

1. بيان خطر الحزبية المقيتة على الدعوة الإسلامية، وأثرها السيء على العقيدة والدين والقيم الإسلامية.

2. لفت أنظار الدعاة الإسلامية إلى هذه الداء العضال الذي تعاني منه الجماعات الإسلامية، ومساوئها المربير على المجتمعات الإسلامية.

3. محاربة النظريات الفكرية الوافدة والتي تجسدت بها الجماعات الإسلامية مدعية حصر الحق في تلك الجماعة وتقديسها بالولاء والبراء ما أدى ذلك إلى الاختلاف والفرقة والوهن في الأمة.

4. بيان بأن المنهج السوي هو ما وافق الكتاب والسنة، وأن الحق ليس حكراً في جماعة من الجماعات إلا ما وافق الكتاب والسنة.

4. مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة البحث حول ظاهرة واقعة في ساحة المجتمعات الدعوية والمتجسد في قالب التحزب والفرق حيث كل حزب يرى بأن منواجه هو الحق، وأن غيره مظنة للضلال؛ وهو داء عضال عانت به الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً؛ وفي الآونة الأخيرة أدى ذلك الداء المقيت إلى التناحر والشحناء في أوساط الجماعات الدعوية: ما كان لها أثرها ومساوئها السيئة على واقع الدعوة الإسلامية.

5. الدراسات السابقة:

في أثناء إعداد مفردات خطة البحث حاولت أن أستفيد من الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع وقد حاز الموضوع نصيباً لا يستهان به من الدراسات المتنوعة من حيث العموم، غير أن الباحث لم يطلع على دراسات مستقلة -على حسب وقوفي- خاصة بهذا الموضوع، تعني ببيان ظاهرة التحزب في مجال الدعوة إلى الله.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن ذكر بعض تلك الدراسات التي اطلع عليها الباحث على النحو الآتي:

1. موقف الصحابة من الفرقة والفرق، (رسالة دكتوراه) أعدتها: أسماء بنت سليمان السويلم، وقدمتها بكلية التربية للبنات، جدة، سنة: 1422هـ.

2. حكم الانتماء للفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، تأليف: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، 1410هـ.

3. منهج القرآن في تحصين الأمة من الفرق والاختلاف، تأليف: محمود محمد داؤود الصميدعي، 2007م.

4. التحذير من التحزب والتفرق وتكوين الجماعات، تأليف: سرحان بن غزاي العتيبي، 2019م.

5. الحزبية والتحزب وآثارهما السيئة على الجماعة، أعدها: د. عبد العزيز بن جليدان الظفيري، بحث مقدّم لمؤتمر تحقيق الاجتماع وترك التحزب والافتراق واجب شرعي ومطلب وطني، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لعام: 17/ربيع الآخر 1437هـ / 2016م.

وغيرها من الدراسات والأبحاث، وقد تم ذكرها على سبيل الإجمال لا الحصر.

وقد أصّلت هذه الدراسات مفهوم التحزب من منظور شرعي، مبيّنة أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة، والبعد عن التحزب المذموم الذي يقوم على الولاء والانتماء لأشخاص أو جماعات، المؤدي إلى

شيوع العصبية وضياع روح الوحدة الإسلامية كما أكدت هذه الدراسات أن كثيراً من حالات التحزب المعاصر منشؤها الجهل واتباع الهوى والتعصب، والالتباس في المفاهيم، البعيدة عن المنهاج النبوي في فهم الدليل ومقاصدها المستنبطة.

وبناءً على ذلك يتضح أن الدراسات السابقة خلصت إلى بيان مظاهر الفرق والاختلاف، ومساوئها وآثارها السيئة على الفرد والمجتمعات الإسلامية بصورة علمية مؤصلة، بيد أنه لا تزال هناك حاجة إلى دراسات مكثفة تعالج هذه الظاهرة من منظورها العلمي الشامل، يجمع بين التأصيل الشرعي والدراسة الميدانية الكمية، التي تستحق الدراسة والتتبع، لتكون هذه الدراسة مكملاً لتلك الدراسات السابقة: لتغطي النقص الحاصل وخدمة للدين والعلم وأهله.

6. منهج البحث:

المنهج المتبع في إعداد هذا البحث ودراسته هو المنهج الاستقرائي أي: تقرير القواعد والمفاهيم الثابتة التي تتيح للإنسان فهم الظواهر والأشياء الخارجية فهماً علمياً صحيحاً، مع الاستعانة أيضاً ببعض أدبيات منهج المنهج الوصفي والمعني بإعطاء أوصاف دقيقة للظواهر الحادثة أمامه حتى يتسنى له حل المشكلات⁽²⁾.

7. هيكل البحث:

بمقتضى المنهج وطبيعته التي ينهض البحث بمعالجتها، فإن البحث يتوزع في طبيعته المنهجية في مدخل وأربعة مطالب رئيسية، وأهم النتائج، والمصادر والمراجع على النحو الآتي:

المدخل: مفاهيم مفردات البحث.

المطلب الأول: صور الافتراق والتحزب، وخطورتها.

المطلب الثاني: أسباب التحزب والتفرق.

المطلب الثالث: آثار التحزب على الدعوة والدعاة.

المطلب الرابع: مسئولية الدعاة تجاه التحزب.

الخلاصة وأهم النتائج

المصادر والمراجع.

(2) أسس ومناهج البحث، محمد موسى عثمان، ص: 18، والبحث العلمي حقيقته ومصادره، عبد العزيز الزبيعة، (178/1-179).

المدخل:

مفاهيم مفردات البحث:

أولاً: الظاهرة في اللغة والاصطلاح

الظاهرة: في اللغة:

أصله مصدر من (ظَهَرَ). من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِيكَ زَيْتَنَهُ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور، 31). أي: الشيا (3).

ومنه الظاهرة: التي ترد كل يوم نصف النهار. والظاهرة من الأرض وغيرها، أي: المشرفة، والظاهرة من الجبل أي: أعلاه. وظاهرة كل شيء أي: أعلاه، والظاهرة من العيون أي: الجاحظة (4). كما في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ظَهْرُهُ وَبَاطِنُهُ﴾ (لقمان: 20). أي: الظاهرة: ما نقف عليها، والباطنة: ما لا نعرفها (5).

قال ابن فارس: والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة (6).

والحاصل: أن كلمة الظاهرة التي يقصد بها هنا، والتي تعارف عليه المعاصرون هي كلمة اجتماعية محدثة، ومعناها عند المعاصرون: "هو الأمر البادي للعيان والذي يمكن إدراكه بالنظر أو بالسمع أو باللمس" كقولنا: ظاهرة التحزب، وكقولهم: ظاهرة اجتماعية (7)، وأدبية، وكونية، ونحو ذلك.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (156/19).

(4) تهذيب اللغة، للهروي، (136-133/6)، (مادة: ظهر)، والصاحح، للجوهري، (731/2)، (مادة: ظهر). (بتصرف يسير).

(5) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 541.

(6) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (471/3)، (مادة: ظهر).

(7) وهي ظاهرة كَلِيَّة تَتَطَلَّبُ دِرَاسَتُهَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ جَوَانِبِ مُخْتَلَفَةٍ: فَقَضِيَّةُ السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَةِ هِيَ جُزْءٌ مِنَ الظَّاهِرَةِ، وَقَضِيَّةُ التَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ هِيَ جُزْءٌ آخَرُ، وَمَوْضُوعُ الْإِذْرَاقِ وَالْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ هُوَ جُزْءٌ مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ.. الخ. البليوجرافيا الخاصة بالعلامة عبد الرحمن بن خلدون، محمد الحسن، ص: 441، أرشيف ملتقى أهل الحديث، رقم: (5)، منتدى شئون المكتبات والمطبوعات، رقم: (27)، من مكتبة الشاملة المرقم الآلي.

والظاهرة في الاصطلاح:

لقد استخدم أهل العلم كلمة (الظاهرة) كثيراً في مجال الدراسات الاجتماعية، والإحصائية،
نورد بعضاً من تلك التعاريف ليتسنى فهم معاني مدلولاتها، ومن ذلك:

1. الظاهرة: في الانجليزية يسمى (Phenomenon) وهي لفظ يطلق على أي حدث يمكن.

وفي الاستخدام العام -الظاهرة- كثيراً ما تشير إلى حدث غير عادي.

وفي الاستخدام العلمي الظاهرة هي: أي حدث يمكن ملاحظته ومراقبته ورصده، وقد تتطلب
الملاحظة العلمية ومراقبة الظاهر استخدام أجهزة معينة للمراقبة وتسجيل أو تجميع البيانات المتعلقة
بهذه الظاهرة⁽⁸⁾.

2. وقد عرفها أحدهم: الظاهرة بالاصطلاح: "فإنها تدل على أمر غير مألوف وانتشر في المجتمع بشكل
مفاجئ وأصبح جزءاً منها.

والظاهرة في الغالب ترتبط بالمجتمع والحياة الاجتماعية للأفراد، فيقال ظاهرة اجتماعية،
ولكن أيضاً قد ترتبط بالطبيعة وتقلبات المناخ والطقس مثلاً فيقال ظاهرة طبيعية، أو أن ترتبط
بالاقتصاد فيقال ظاهرة اقتصادية، .."⁽⁹⁾.

ثانياً: التحزب في اللغة والشرع:

التحزب في اللغة:

تنوع عبارات اللغويين وأصحاب المعاجم في تعريف التحزب، فمنهم من ربطه بالمواقف والأحداث،
ومنهم من عرفه تعريفاً مجرداً⁽¹⁰⁾.

والتحزب أصله مصدر من (حزب)، وهو فعل الأحزاب أو القادة منهم، أو فعل أصحاب الأحزاب،
ويقصد به التجمع على الشيء والتقوية، والتعاون والتأليب، ومنه الحزب وهم جماعة من الناس، أو
أصحاب الرجل معه على رأيه، أو طائفة من الناس هوامهم واحد، أي: كل طائفة وفرقة من هؤلاء هوامهم

⁽⁸⁾ <https://ar.wikipedia.org>، الأرباء، 17/02/1441هـ.

⁽⁹⁾ مفهوم الظاهرة، هنادي أحمد، مقال منشور في مجلة الالكترونية <https://hyatoky.com>، 12/مارس 2019م، الخميس،
18/02/1441هـ.

⁽¹⁰⁾ ينظر: تهذيب اللغة، للهروي، (4/216-217)، (مادة: حزب)، ولسان العرب، لابن منظور، (1/308)، (مادة: حزب).

واحد (11). وكما في حديث الإفك: "...وظفقت حمنة (12) تحازب لها.. (13)" أي: تتعصب وتسعى سعي جماعتها الذين يتحزبون لها (14).

والجمع أحزاب، وحازب القوم وتحزبوا، أي: تجمعوا وصاروا أحزاباً.

وحزبهم أي: جعلهم كذلك. وحزب فلان أحزاباً أي: جمعهم (15).

ومما سبق يتضح أن التحزب له معانٍ عدة: التجمع، الطائفة، والجماعة من الناس، والتعاون.

التحزب شرعاً:

ورد لفظ التحزب في القرآن الكريم على وجهين، أحدهما مدحاً والثاني ذمماً، وهما:

الأول: على وجه المدح: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: 56). والمراد بحزب الله أي: جنده وأنصاره المجتمعون على ذلك (16).

والثاني: على وجه الذم: وعلى سبيل الذم ذكر الباري سبحانه آيات كثيرة صريحة، إذ سمي الأقسام السابقة المكذبة للرسول عليهم السلام (بالأحزاب) قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٣﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٥﴾﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الروم: 31-32). ومعنى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق،

(11) جامع البيان في تفسير تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (101/20).

(12) صاحبة الجليل حمنة بنت جحش الأسدية، أخت أم المؤمنين زينب وأختها، زوج مصعب بن عمير، ثم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم. الإصابة، لابن حجر، (88/8).

(13) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، (116/5)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(14) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (377/1)، (مادة: حزب).

(15) تهذيب اللغة، للهروي، (216-217/4)، (مادة: حزب)، ومجمل اللغة، لابن فارس، ص: 232، (مادة: حزب)، ولسان العرب، لابن منظور، (308/1)، (مادة: حزب).

(16) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (222/6).

(17) سورة ص، الآية: 12-13.

فأحدثوا البدع التي أحدثوا ﴿يَمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونٌ﴾ يقول: بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم⁽¹⁸⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَجِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونٌ﴾ (المؤمنون: 52-53).

والمعنى: قال تعالى للرسول: ﴿وَلِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَجِدَةٌ﴾ أي: جماعتكم -يا معشر الرسل- جماعة ﴿أُمَّةٌ وَجِدَةٌ﴾ متفقة على دين واحد، وربكم واحد.

﴿فَاتَّقُونِ﴾ بامتثال أوامري، واجتناب زواجري. وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين، لأنهم بهم يقتدون، وخلفهم يسلكون، فالواجب من كل المنتسبين إلى الأنبياء وغيرهم، أن يمتثلوا هذا، ويعملوا به، ولكن أبى الظالمون المفترون إلا عصيائاً، ولهذا قال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي: تقطع المنتسبون إلى أتباع الأنبياء ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أي: دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي: قطعاً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: بما عندهم من العلم والدين ﴿فِرْحُونٌ﴾ يزعمون أنهم المحقون، وغيرهم على غير الحق، مع أن المحق منهم، من كان على طريق الرسل، من أكل الطيبات، والعمل الصالح، وما عداهم فإنهم مبطلون⁽¹⁹⁾.

وقال الإمام القرطبي -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونٌ﴾ أي: افترقوا، يعني الأمم، أي جعلوا دينهم أديانا بعد ما أمروا بالاجتماع (زبرا) يعني كتباً وضعوها وضلالات ألفوها، وقيل: إنهم فرقوا الكتب فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة الإنجيل، ثم حرف الكل وبدل، قاله قتادة. (كل حزب) أي فريق وملة. (بما لديهم) أي عندهم من الدين. (فرحون) أي معجبون به⁽²⁰⁾.

ويوضح هذا الافتراق قول النبي صلى الله عليه وسلم: "افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة،

⁽¹⁸⁾ جامع البيان في تفسير تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (101/20).

⁽¹⁹⁾ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص: 553.

⁽²⁰⁾ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (130/12).

واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة⁽²¹⁾. وفي لفظ: "... قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"⁽²²⁾.

وقد ورد بلفظ: "تَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى سَبْعِينَ أَوْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الزَّنادِقَةُ، وَهُمْ الْقَدَرِيَّةُ"⁽²³⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أما هذا الحديث فلا أصل له بل هو موضوع كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث ولم يروه أحد من أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ..."⁽²⁴⁾.

وقال ابن الجوزي -رحمه الله-: "هذا الحديث لا يصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"⁽²⁵⁾.

فقوله -صلى الله عليه وسلم-: (أُمَّتِي) أي: أمة الإجابة، والمراد من هذا التفرق: التفرق المذموم الواقع في أصول الدين⁽²⁶⁾.

وقال العلامة شمس الحق العظيم آبادي -رحمه الله-: "وهذا من معجزاته -صلى الله عليه وسلم- لأنه أخبر عن غيب لما وقع"⁽²⁷⁾.

ومن مجموع هذه الآيات والأحاديث عرّف العلماء الافتراق بأنّه: "الاختلاف في أصول الدين التي ثبتت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة مما لا يعذر المخالف فيه ويورث التفرق والعداوة"⁽²⁸⁾.

(21) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (2/1322)، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، وقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه، برقم: 3992.

(22) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة، (5/26)، (برقم: 2641)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، وحسنه الإمام الألباني.

(23) الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو بن موسى العقيلي، (4/201). وهو حديث ضعيف.

(24) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لابن تيمية، ص: 337.

(25) الموضوعات، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، (1/268)،

(26) بذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، (13/5-6).

(27) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، (12/222).

(28) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، (24/172-147). بتصرف.

فالحاصل أن الافتراق والتحزب هو: "مفارقة الأمة أو الجماعة فيما هي عليه من الاعتقاد الصحيح والمنهج القويم ومفارقتها منهجاً وعقيدةً على إمام والخروج عليها بالسيف".

التحزب في الاصطلاح:

تعددت تعريف العلماء حول التحزب، وسأذكر بعضاً منها، لتوضيح المقام:

1. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما "رأس الحزب" فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً..." (29).

2. وقال المناوي -رحمه الله-: "جماعة فيها غلط، والأحزاب عبارة عن المجتمعين لمحاربة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في غزوة الخندق. (30). هذا التعريف يؤكد أن هناك حزبين لا ثالث لهما، هما حزب الله وحزب الشيطان.

3. وقال الشيخ الألباني -رحمه الله- هو "التعصب لطائفة من الطوائف الإسلامية ضد الطوائف الأخرى ولو كانوا على الحق فيما هم سائرون فيه" (31).

4. وقد جمعها ابن الأثير -رحمه الله- في تفسيره لحديث ابن الزبير -رضي الله عنه- (يريد أن يحزبهم أي يقوهم، ويشد منهم، أو يجعلهم من حزبه أو يجعلهم أحزاباً) (32).

والحاصل وبعد استقراء تلك التعاريف يمكن القول بأن التحزب هو: مخالفة الجماعة وتكوين جماعة أخرى والدعوة إليها بكل السبل والأساليب، والتعصب لها.

مرادفات كلمة التحزب:

-الافتراق: مصدر من فعل افترق والافتراق: خلاف الاجتماع، والتفرق والافتراق سواء، وفارق الشيء مفارقةً وفراقاً أي: باينه، والفرق والفرقة والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق، والطائفة من الناس (33).

(29) المصدر السابق، لابن تيمية، (92/11).

(30) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي، ص: 139.

(31) صيد الفوائد، سلسلة الهدى والنور للألباني <http://www.saaaid.net>، الاثنين، 14/03/1441هـ.

(32) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، (1/377)، (مادة: حزب).

(33) تهذيب اللغة، للهرودي، (9/96-98)، (مادة: فرق)، ولسان العرب، لابن منظور، (10/299-300)، (مادة: فرق).

وشرعاً: الخروج عما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وعن جماعة المسلمين في أصل أو أكثر من أصول الدين (34).

وفي التنزيل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 153).

أي: ولأن هذا الذي وصيتم به من الأمر والنهي طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي قويم لا اعوجاج فيه، فاعملوا به. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعني الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات فتفرق بكم عن سبيله أي: فتفرقكم عن صراطه المستقيم وهو دين الإسلام الذي ارتضاه لعباده (35).

وفي الحديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه" (36).

وفي الاصطلاح العام: الفصل بين الاتجاهات الفكرية والمذهبية بين طوائف الناس، مغايراً مبادئ ما عليه الجماعة في الأفكار والأقوال والأديان والأحوال والمعتقدات (37).

-الحزبية: بكسر الحاء، الجماعة أو الطائفة، أو الصنف من الناس، فالحزبية مذمومة وهي حزب الشيطان، وكل ما على الإسلام هو حزبية ممدوحة مثل حزب النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه قال الإمام الهروي -رحمه الله-: "... والمنافقون والكافرون حزب الشيطان، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضاً بمنزلة عاد وثمود وفرعون أولئك الأحزاب (38).

(34) موقف الصحابة من الفرقة والفرق، أسماء بنت سليمان السويلم، ص: 104.

(35) محاسن التأويل -تفسير القاسمي-، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، (540/4).

(36) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، (1480/3)، من حديث عرفة بن شريح الأشجعي رضي الله عنه.

(37) انظر: منهج القرآن في تحصين الأمة من الفرق والاختلاف، محمود محمد الصمدي، ص: 35-44.

(38) تهذيب اللغة، للهروي، (217/4)، (مادة: حزب). لسان العرب، لابن منظور، (308/1)، (مادة: حزب).

وفي الاصطلاح: مخالفة أهل الحق، ومنهج أهل السنة والجماعة في الأقوال والأعمال والاعتقاد، وذلك باجتماعهم على مقالة أو رأي، والتعصب له، أو مناهضة للحق، وسواء كان هذا بقاء بعضهم بعضاً أم بعدمه⁽³⁹⁾.

وغيرها من المرادفات مثل: المذهبية، والطائفية، والفئوية.

المطلب الأول: صور الافتراق والتحزب

التحزب والافتراق له صورٌ، أوردها العلماء في كتبهم من خلال تناولهم للأدلة، ومن أهميّة المقام، ذكر تلك الصور ونماذجها قديماً وحديثاً على سبيل الإجمال:

الصورة الأولى: مضارقة الدين كله:

كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: 158).

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: الآية عامة في جميع الكفار. وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر الله عز وجل به فقد فرق دينه.

وقيل: هم أهل البدع والشبهات، وأهل الضلالة والأهواء من هذه الأمة. ومعنى ﴿شِيْعًا﴾ فرقا وأحزابا. وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع. ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ فأوجب براءته منهم⁽⁴⁰⁾.

⁽³⁹⁾ الحزبية والتحزب، وآثارهما السيئة على الجماعة، د. عبد العزيز بن جليد بن هاجد الظفيري، ص: 50، بحث مقدّم لمؤتمر تحقيق الاجتماع وترك التحزب والافتراق واجب شرعي ومطلب وطني، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لعام: 17/ ربيع الآخر 1437هـ. (بتصرف يسير).

⁽⁴⁰⁾ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (149/7-150). (بتصرف يسير).

وصورة هذا مما لا يزال موجوداً في عصرنا الحاضر: وهو الدخول في النصرانية، أو اعتقاد الإلحاد⁽⁴¹⁾، أو اللحاق بالبابية⁽⁴²⁾، والبهائية⁽⁴³⁾، والقاديانية⁽⁴⁴⁾، ونحوها من ملل الضلال.

الصورة الثانية: التفرق في الدين:

وهذا التفرق يكون بإحداث الآراء المبتدعة، كما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 153).

قال القاضي أبو محمد -رحمه الله- وهذه الآية تعلم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد⁽⁴⁵⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أن الشرائع أغذية القلوب، فمتى اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث"⁽⁴⁶⁾.

وفيما معناه يقول أحد الباحثين المعاصرين: "والبدع قد تكون مكفرة، وقد تكون مفسقة، وقد تكون معصية، وقد تكون خطأ يُعذر صاحبه لتأويل سائغ"⁽⁴⁷⁾.

(41) فإن لفظ الإلحاد يقتضي ميلاً عن شيء إلى شيء بباطل. مجموع الفتاوى لابن تيمية، (12/124).

(42) ديانة كافرة، تنسب إلى علي بن محمد الشيرازي، ظهر في بلاد فارس، ادعى أنه الباب الموصل للمهدي المنتظر عند الشيعة، ومن أهم نحلته العقائدية، بطلان العبادات الظاهرة، وتأويل العقائد بتأويلات الباطنية. البابية _عرض ونقد_ العلامة إحسان الهي ظهير، ص: 49.

(43) ديانة كافرة، تنسب إلى علي بن عباس المازندراني، ظهر في إيران، ادعى المهديّة، ثم النبوة، ثم الألوهية. البهائية _نقد وتحليل_ العلامة إحسان الهي ظهير، ص: 7.

(44) ديانة كافرة، تنسب إلى الميرزا غلام أحمد القادياني، ظهر في الهند، ادعى النبوة الألوهية. القاديانية. العلامة إحسان الهي ظهير، ص: 101. (بتصرف يسير).

(45) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (364/2).

(46) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، (104/2).

(47) الافتراق والتحزب، المفهوم والأسباب، د. عبد العزيز بن أحمد البذاح، ص: 16، بحث مقدم لمؤتمر تحقيق الاجتماع وترك التحزب والافتراق واجب شرعي ومطلب وطني.

وصورة هذا التفرّق ما نراه في زماننا من أنواعاً من الجماعات البدعيّة، كـ القرآنيون⁽⁴⁸⁾، والتتويريون -العقلانيون- العصرانيون- كلها أسماء لمسمى واحد⁽⁴⁹⁾.

الصورة الثالثة: مفارقة الجماعة بالخروج عليها:

كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه"⁽⁵⁰⁾.

وهذه الصورة لها حالتان:

الأوّل: الخروج على الجماعة باللسان وهو ما يعرف بالخوارج (القعدية -الخفية)⁽⁵¹⁾، ومثلهم اليوم الكثير من الجماعات المعاصرة، والذين ينادون اليوم بالمظاهرات والثورات وما إلى ذلك.

وقد عدّ الإمام ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- من الفرق الضالة، وقال واصفاً الخوارج القعدية بقوله: "القعدية: الذي يزينون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك"⁽⁵²⁾.

(48) طائفة معاصرة تنسب إلى غلام نبي المعروف بعبد الله جكرالوي، ظهرت في الهند، ترى القرآن فقط مصدراً للتشريع والتلقي، وتتكبر السنّة. ينظر: مناهج الدعوة والتيارات الدينية والفكرية في العالم العربي والإسلامي -قديماً وحديثاً- لأستاذنا، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ص: 383.

(49) طائفة فكريّة معاصرة ترى بتقديس العقل وتقديمه على النقل وفق رؤية عصرية، وجعله مصدراً للتلقي. ينظر: العقلانيون، علي بن حسن الحلبي، ص: 15. بتصرف.

(50) صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع، (1480/3)، من حديث عرفة بن شريح الأشجعي رضي الله عنه.

(51) هم المحرضون على الخروج على الحكام، وإن لم يخرجوا، ويضمرون الخروج بالسيف، ولا يبديون ذلك علانية، وقد سماهم أهل العلم بـ (القعدية). انظر: مناهج الدعوة والتيارات الدينية والفكرية -قديماً وحديثاً-، لأستاذنا أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي وفقه الله، ص: 179.

(52) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (432/1). ذكرها في مقمّة الكتاب.

الثاني: الخروج على الجماعة بالسيف، مثل الخوارج⁽⁵³⁾ الأول القديم، ومثلهم اليوم جماعة التكفير والهجرة⁽⁵⁴⁾، ومن هنا نحوهم من الجماعات المعاصرة⁽⁵⁵⁾؛ فإن هؤلاء جمعوا بين إحداث بدعة تكفير مرتكب الكبيرة، ومنازعة الولاة والخروج عليهم.

الصورة الرابعة: الجماعات الدعوية _المخالفة لمنهج السلف_:

فقد ظهرت في آونة الأخيرة جماعات دعوية مثل: جماعة التبليغ⁽⁵⁶⁾، وجماعة الإخوان المسلمون⁽⁵⁷⁾، وغيرها من الجماعات.

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد -رحمه الله-: وأما موقف المسلم من هذه الجماعات فلها حالتان: الأولى: إذا كان المسلم في ولاية إسلامية فلا يجوز له تفريق جمع المسلمين بإيجاد حزب إسلامي، أو جماعة إسلامية.

الثانية: إذا كان المسلم في بلد في جماعة مسلمون وليست ولايته إسلامية، فليعتزل الفرق المخالفة للإسلام والمختلفة عنه، وماذا يضر المسلم أن يدعو إلى الله تعالى على منهاج النبوة في جماعة مسلمة، ويعتزل الفرق المخالفة للإسلام، فقد كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع جماعة مسلمة وحوله كفار من قريش ويهود، فحديث (فعليكم بسنتي) الآتي خطاب لجماعة المسلمين⁽⁵⁸⁾.

⁽⁵³⁾ هم الذين يرون الخروج على الإمام الجائر، ويقولون بتكفير صاحب الكبيرة، وإن لم يخرج على الإمام. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (114/1).

⁽⁵⁴⁾ جماعة غالية نشأت في سجون مصر سنة: 1385هـ، ذهبت إلى تكفير المجتمعات والحكومات، والخروج عليها بالقوة المسلحة. انظر: مناهج الدعوة والتيارات الدينية والفكرية قديماً وحديثاً، لأستاذنا أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي وفقه الله، ص: 329-321.

⁽⁵⁵⁾ مثل: القاعدة، وجيش النصرة، وداعش، ومن سار على شاكلتهم من أهل البدع والأهواء.

⁽⁵⁶⁾ جماعة دعوية أسست في الهند سنة: 1926م، وينتشر أتباعها حول العالم، ولها مؤاخذات في العقيدة والمنهج الدعوي. القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ، حمود التويجري، ص: 5.

⁽⁵⁷⁾ جماعة دعوية أسست في مصر على يد حسن البنا سنة: 1928م، وتمددت في بلاد العالم الإسلامي، وعليها مؤاخذات في العقيدة والمنهج. الموسوعة الميسرة، (198/1). وينظر: السياسة الشرعية ومنهج الإخوان المسلمين رسالة دكتوراه، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز، ص: 263، جامعة الإمام، 1433-1434هـ.

⁽⁵⁸⁾ انظر: حكم الانتماء إلى الأحزاب والفرق والجماعات الإسلامية، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص: 46-52.

ويقول الشيخ الفوزان معلقاً على سؤال السائل عما يسمى بالجماعات الإسلامية في هذا العصر، وهل يجوز الذهاب معهم ومشاركتهم إذا لم يكن لديهم بدعة؟

فأجاب: "الرسول - صلى الله عليه وسلم- أخبرنا وبين لنا كيف نعمل، ما ترك شيئاً يقرب أمتّه إلا وبيّنه، وما ترك شيئاً يبعدهم من الله إلا وبيّنه -عليه الصلاة والسلام-، ومن ذلك هذه المسألة، قال -صلى الله عليه وسلم-: "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً". لكن ما هو العلاج عند حدوث ذلك؟ قال: "فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسکوا بها وعصوا عليها بالنواجز، وإياکم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"(59)(60).

ومثل ذلك ما جاء في السنن من حديث عرياض بن سارية -رضي الله عنهما- فقال: "...عليکم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشياً، وسترون من بعدي اختلافاً شديداً، فعليکم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجز، وإياکم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة"(61).

المطلب الثاني: أسباب التحزب والتفرق

جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ذم الافتراق والتحزب والتحذير منهما وبيان ما يترتب عليهما النكال في الدنيا والآخرة.

وللافتراق والتحزب أسباب تؤدي إليهما، يجب الوقوف عليهما، حتى يحذرها الناس، وأورد هنا جملة من الأسباب المؤدية إلى الافتراق والتحزب؛ لأنها أسباب تؤدي إلى الانحراف.

أولاً: ضعف التوحيد:

أصل التوحيد الولاء لله ورسوله والمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٥٥﴾ (المائدة: ٥٥ - ٥٦).

(59) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، كتاب العلم، قوله: وأما حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (174/1)، (برقم: 329)، من حديث عرياض بن سارية رضي الله عنه. والحديث أصله في سنن ابن ماجه، (برقم: 42).

(60) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، معالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، جمع وتعليق: جمال بن فريحان الحارثي، ص: 24-25.

(61) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، (15/1)، (برقم: 42).

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: ففي هذه الآية يبين الله تعالى أن من مقتضيات الإيمان: الولاء لله تعالى ورسوله والمؤمنين، فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، ومن كان ولياً لله فهو ولي لرسوله، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولى من تولاه، وهم المؤمنون⁽⁶²⁾.

فالرابط الوثيق بين المؤمنين (لواء التوحيد) عليه يعقد الولاء والبراء والتعاون، والإخاء، وتحت السلطة الشرعية تعقد البيعة، ويدان لها بالسمع والطاعة⁽⁶³⁾.

وإذا ضعف التوحيد ضعف الولاء لله ورسوله والمؤمنين، وقامت روابط ووشائج أخرى، تتجمع كل طائفة على رابطة فيحصل التفرق والاختلاف.

ويدخل في مسألة ضعف التوحيد أيضاً التعصب للأشخاص والأقوال وجعلهما مدار الولاء والبراء، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أنه ليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعوا إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها، غير النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"⁽⁶⁴⁾.

والحاصل أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة (لا إله إلا الله)، وهي الرابطة الحقيقية التي تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية، والنداء برابطة أخرى غير الإسلام لا يجوز⁽⁶⁵⁾.

ثانياً: ظهور النفاق:

ديين المنافقون على تفريق المسلمين وتحزيبهم، كما قال تعالى عن أوائلهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: ١٠٧).

(62) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص: 236.

(63) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص: 19.

(64) مجموع الفتاوى، (164/20).

(65) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (524-531).

قال الإمام البغوي -رحمه الله-: ﴿وَقَرِّبْنَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: لأنهم كانوا جميعاً يصلون في مسجد قباء، فبنوا مسجد ضرار، ليصلي فيه بعضهم، فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة⁽⁶⁶⁾.

وقال البغدادي⁽⁶⁷⁾ -رحمه الله-: كان المسلمون عند وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقاً وأضر نفاقاً⁽⁶⁸⁾.

وأول ما ظهر الخلاف ووقع الافتراق في الأمة على يد: عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر⁽⁶⁹⁾.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن السبئية: "أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته علي أمير المؤمنين رضي الله عنه"⁽⁷⁰⁾.

ثالثاً: إتباع الهوى:

نهى الله تعالى عن إتباع الهوى؛ لأنه من أسباب الضلال فقال في التنزيل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦). وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠).

قال الإمام الماوردي -رحمه الله-: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن تميل مع من تهواه فتجور. الثاني: أن تحكم بما تهواه فتزل⁽⁷¹⁾.

وإتباع الهوى من أسباب الافتراق ووقوع الخلاف في الأمة، وقد أشار إلى ذلك المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في حديث الافتراق بقوله: "إِنَّ أَهْلَ الْكُتَابِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مَلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مَلَّةً فِي الْأَهْوَاءِ كُلِّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَإِنَّهَا الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ

⁽⁶⁶⁾ معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود، (93/4).

⁽⁶⁷⁾ هو عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي الشافعي، فقيه متكلم، توفي سنة 429هـ. سير أعلام النبلاء، للذهبي، (276/17).

⁽⁶⁸⁾ الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر، ص: 12.

⁽⁶⁹⁾ الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (91/2).

⁽⁷⁰⁾ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، (11/1).

⁽⁷¹⁾ النكت والعيون، للماوردي، (90/5).

سيخرج في أمّتي قومٌ تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب⁽⁷²⁾ بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله..."⁽⁷³⁾.

وقال الإمام ابن القيم الجوزية-رحمه الله-: ولهذا كان السلف-رحمهم الله- يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم- في مسائل العلم الخيرية، ومسائل الأحكام العملية، يسمونهم أهل الشبهات والأهواء؛ لأنّ الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله، واتباع هواه بغير علم⁽⁷⁴⁾.

رابعاً: تقديم العقل على النقل:

يقع الافتراق والاختلاف في الأمة بتقديم العقل على النقل، وهو أوّل ضلال وشبهة وقعت فيه الخليفة، كما قال الإمام الشهرستاني-رحمه الله-: "إنّ أوّل شبهة وقعت في الخليفة: شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، ... ثم قال: "وانشعبت (أي: افترقت وتباعد) من هذه الشبهة سبع شبهات، وسارت في الخليفة، وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة، ..."⁽⁷⁵⁾.

قال أبي العز الحنفي-رحمه الله- وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَطَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: 12)⁽⁷⁶⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- مبيّناً حال السلف، وما عهد له الأولون من مردّ أمرهم إلى كتاب الله ورسوله" ومعلوم أنّ عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص

⁽⁷²⁾ بالتحريك داء يعرض الإنسان من عضّ الكلب، فيصيبه شبه الجنون. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (4/195)، (مادة: كلب).

⁽⁷³⁾ رواه أحمد في مسنده، (28/134)، (برقم: 16937)، من حديث أبي عامر بن عبد الله بن لحي رضي الله عنه.

⁽⁷⁴⁾ إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، (2/139).

⁽⁷⁵⁾ الملل والنحل، للشهرستاني، (1/14).

⁽⁷⁶⁾ ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، ص: 176.

بالعقليات...ولكن لما حدثت الجهمية⁽⁷⁷⁾ في أواخر عصر التابعين كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم⁽⁷⁸⁾.

ولما وقع هؤلاء في معارضة النصوص وقعوا في الضلال المؤدي إلى الافتراق، وهكذا حصل الافتراق في الدين والخلاف في مسائل الاعتقاد لما عورضت النصوص بالعقل.

خامساً: التولج في الفتن: أي: "الفتن العامة التي تنزل على الأمة"

الدخول في الفتن والخوض فيها عند وقوع أسبابها من أسباب وقوع الافتراق وحصول الاختلاف في الأمة. قال حذيفة رضي الله عنه: "ياكم والفتن، فلا يشخص لها أحد، فو الله ما يشخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن إنها مشبهة متصلة، حتى يقول الجاهل: هذه سنة وتبين مدبرة فإذا رأيتموها فاجتموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم"⁽⁷⁹⁾.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها، وهذا شأن الفتن، كما قال تعالى: ﴿وَأْتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥)"⁽⁸⁰⁾.

سادساً: التولي عن إتباع سبيل المؤمنين:

أمر الله تعالى بسلوك صراطه السوي المستقيم، فقال في التنزيل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣). وقال سبحانه: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (طه: ١٣٥)؛ وهذا الصراط: هو ما كان عليه الأنبياء والمرسلين، وما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والتابعون من أهل القرون المفضلة⁽⁸¹⁾.

(77) فرقة تنسب إلى الجهم بن صفوان، يقولون بأن الإيمان هو المعرفة، ويقولون بالجبر، وينفون عن الله تعالى الأسماء والصفات. مقالات إسلاميين واختلاف الأصوليين، علي بن إسماعيل الأشعري، ص: 338.

(78) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، (244/5).

(79) الإبانة الكبرى -الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة-، عبيد الله بن محمد بن محمد المعروف بابن بطة، (593/2)، (برقم: 756).

(80) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، (343/4).

(81) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (157/27). (بتصرف يسير).

وقد توعد الله المعرضين عن سبيل المؤمنين فقال في التنزيل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ تُوَلَّيْ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥). ففي الآية: "أن الله تعالى، توعد أتباع غير سبيل المؤمنين، فدل على أن إتباع سبيلهم واجب ومخالفتهم حرام" (82).

قال الإمام الذهبي (83) -رحمه الله-: "كان الناس أمة واحدة، ودينهم قائماً في خلافة أبي بكر وعمر، فلما استشهد قتل باب الفتنة؛ عمر -رضي الله عنه- وانكسر الباب، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان حتى ذبح صبراً، وتفرقت الكلمة، وتمت وقعة الجمل، ثم وقعة صفين، فظهرت الخوارج، وكفرت سادة الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب..." (84).

سابعاً: ترك الصبر المأمور به شرعاً:

إنّ من قرأ التاريخ وتدبّر في كتب السير وأحوال الناس وجد أنّ من أسباب الافتراق الولوج في باب الفتن والضلال وترك الصبر المأمور به شرعاً، وسدّاً منيعاً للباب أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته بالصبر فقال: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، فميتة جاهلية" (85).

قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله- معلقاً: "ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر؛ فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه..." (86).

وقد خرج أقوامٌ قديماً وحديثاً على الولاية -الجور- فأحدثوا افتراقاً عظيماً أضرّ بهم وبالعامّة، والدعوة الإسلامية، لا هم أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا (87).

(82) الفقيه والمتفقه، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (398/1).

(83) هو محمد بن أحمد بن عثمان التركماني شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، أحد أعلام الأمة الجهادية، له مؤلفات منها: سير أعلام النبلاء، توفي سنة 748هـ. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد، (61/1).

(84) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، (236/11).

(85) صحيح البخاري، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (1477/3)، من حديث أبي رجاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(86) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، (12/3).

(87) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، (528/4). (بتصرف).

وقال أيضاً: "وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا"⁽⁸⁸⁾.

ثامناً: ظهور البدع والشبهات:

ومن شؤم البدع وقوع الافتراق والخلاف في الأمة، وحصول النزاع والافتتال فيها، وقد فسر كثير من أهل العلم في آيات النهي عن الافتراق بأنهم أهل البدع والشبهات، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: 153).

قال مجاهد⁽⁸⁹⁾ - رحمه الله - هم أهل "البدع والشبهات"⁽⁹⁰⁾. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "فالبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال أهل البدعة والفرقة"⁽⁹¹⁾.

تاسعاً: ظهور الرايات والشعارات البراقة⁽⁹²⁾:

ارتفعت في الآونة الأخيرة رايات بيضاء وسود، شعارها برّاقة، وهو دأب دعاة الضلال قديماً وحديثاً، وقد ضلّوا وأضلّوا السبيل، كما قال في التنزيل: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٍ﴾ (البقرة: ٢١٣).

⁽⁸⁸⁾ المصدر السابق، لابن تيمية، (152/5).

⁽⁸⁹⁾ هو الإمام المقرئ مجاهد بن جبر، مولى بني مخزوم، تابعي جليل من أحد أعلام القراء والمفسرين، من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه، توفي سنة 104 هـ. ينظر: تهذيب التهذيب، احمد بن حجر العسقلاني، (42/10).

⁽⁹⁰⁾ مسند الدارمي _ مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الصمد الدارمي، (286/1)، (برقم: 209). قال: وإسناده صحيح.

⁽⁹¹⁾ الاستقامة، لابن تيمية، (42/1).

⁽⁹²⁾ للاستزادة في هذا الباب، ينظر: الانحراف في الأمة _ أسبابه آثاره وسبل المواجهة _ د. عبد العزيز البداح.

قال الإمام البربهاري⁽⁹³⁾ -رحمه الله-: "واعلم أنه لم تجئ بدعة قط إلا من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له .. فقال: وهم علماء السوء، أصحاب الطمع والبدع"⁽⁹⁴⁾.

وإذا ظهرت الرايات نَعَصَّب الغوغاء لأصحابها وغلو في تعظيمها، حتى يقام أوثاناً تُعبد من دون الله، وإذا بُيِّن لهم الحق، فقالوا: ليس هذا من مذهبنا، مقلداً للمعظم عنده، فقدّمه على الحق⁽⁹⁵⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وتحزّب طائفة لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عن من لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-"⁽⁹⁶⁾.

وغيرها من الأسباب مثل: الجهل، وله تبعات خطيرة، ومساوي كثيرة من أعظمها أنه يورث التحزب، والافتراق، ويوقع العداوة والبغضاء، وكذلك التعصب، وهو خلق ذميم عانت منه الأمة الإسلامية صنوف الأذى، وإيوان الشتات، ولقد عرف العرب قبل الإسلام بجاهليتهم، وعصبيتهم للقبيلة والعشيرة، والبغي والعدوان، وهو سبب كل خطيئة وشر، وأصل كل خلق ذميم، فما من خلق ذميم إلا وفيه عدوان وبغي⁽⁹⁷⁾.

وكذا التقليد وهو داء عضال وقد ذمّ الله تعالى عن أهل الكتاب بذلك، فقال: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ أَزْكَاءَ مِنْ دُوبِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١). ولما استشكل الصحابيُّ الجليل عدي بن حاتم هذه الآية، "وكان قد دان بالنصرانية قبل الإسلام، فلما سمع النبيّ -صلى الله عليه وسلم- يقرأ

⁽⁹³⁾ هو الحسن بن علي بن خلف البربهاري الحنبلي، أبو محمد، أحد الأئمة الفقهاء القوالين للحق والداعية إليه، توفي سنة 327هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، (90/15).

⁽⁹⁴⁾ شرح السنة، الحسن بن علي بن خلف البربهاري، ص: 98.

⁽⁹⁵⁾ انظر: الذيل على طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي، (156/2).

⁽⁹⁶⁾ مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (92/11).

⁽⁹⁷⁾ التحزب والافتراق -أسباب وآثار-، مريم بنت محمد باكوبن، ص: 423-435، بحث مقدّم إلى مؤتمر تحقيق الاجتماع وترك التحزب والافتراق واجب شرعي ومطلب وطني.

هذه الآية قال: يا رسول الله، إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى، إنهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلّوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم" (98).

واللفظ: "أَمَّا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ" (99).

المطلب الثالث: آثار التحزب على الدعوة والدعاة

يترتب على التحزب والافتراق آثار سيئة، وعواقب وخيمة، تفتك بالدعوة والدعاة خصوصاً، والمجتمع المسلم عموماً، وتوردتهم المهالك -والعياذ بالله-، ومن أهمها:

أولاً: الشرك بالله، والبعد عن أساس الدعوة وهو التوحيد:

يُحذّر تعالى من التحزب والافتراق المؤدية إلى وقوعهم في الشرك، كما قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ ۚ﴾ (الروم: ٣١ - ٣٢). قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهيين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد" (100).

وأيضاً: وفي الآية إشارة لكون هذا التفرق والتحزب سبباً في وقوعهم في الشرك؛ فإنه لما كان طريق الحق واحداً، وطرق الشيطان متعدّدة صار "الاختلاف والتفرق شيعاً لا ينفك عن الشرك؛ لما فيه من عبادة الأهواء" (101). وهو واقع ومشاهد في كثير من بلاد المسلمين؛ حيث سلك بهم التحزب والافتراق ببعضهم مسالك شتى، فاختلقت المشارب والأهواء، حتى أغوى فريق منهم إلى الشرك وهم يحسبون أنهم يحسنون صنْعاً.

(98) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، (278/5)، (برقم: 3095)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه. وقد حسّنه الإمام الألباني -رحمه الله-.

(99) المصدر السابق، للترمذي، (278/5)، (برقم: 3095).

(100) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: 640.

(101) ذم الفرق والاختلاف في الكتاب والسنة، عبد الله بن محمد الغنيمان، ص: 51.

ثانياً: تنزيل العقوبات المعنوية:

وذلك لما ورد في صحيح البخاري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدَرِ، فَتَلَاَحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرَفَعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، ... الخ" (102).

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله-: "والتلاحي: قد فسر بالسباب، وفسر بالاختصام والمماراة من دون سباب... وأن السباب تعجل عقوبته حتى يحرم المسلمون بسببه معرفة بعض ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم" (103).

وقال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "وفيه دليل على أن المخاصمة مذمومة، وأنها سبب في العقوبة المعنوية، أي: الحرمان، وفيه أن المكان الذي يحضره الشيطان تُرفع منه البركة والخير" (104).

فالبركة في الألفة والمحبة والوثام، والحرمان في الفرقة والتنازع والاختلاف، ومعلوم أن التشاحن والتنازع مورثة للبغضاء والشحناء.

ويوضح ذلك أكثر ما أخرجه الإمام مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا (105) هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا" (106).

وفيه بيان مغبة التشاحن والتنازع، وأنه يكون سبباً لعدم قبول العمل، وتأخير العفو والصّح؛ زجراً وتعنيفاً؛ لئلا يتساهل في ذلك، وليحرص المسلمون على صفو الوداد، وسلامة النفوس، والمصارحة والمسامحة؛ لينال بذلك مرضاة ربه، وأمن غضب الله وعقابه، وقبول أعماله.

(102) صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة القدر لتلاحي الناس، (47/3)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما.

(103) فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين أحمد بن رجب، الحنبلي، (203/1)، (برقم: 49).

(104) فتح الباري، لابن حجر، (113/1).

(105) أي: أخرجهما.

(106) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتناحر، (1987/4)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثاً: الوقوع فريسة لإغواء الشيطان وتضليله:

كون المسلم والداعية ينضوي تحت لواء جماعة المسلمين، ويكون محاطاً بإخوته، متآلفاً معهم، فإن ذلك إلى جانب ما يُكسبه من حصانة ضد وساوس الشيطان، لما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن قال: "... عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة، ... الخ" (107).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً وألا يتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه. ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- في مواطن عامة وخاصة، ثم ذكر الحديث" (108).

فقد أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بلزوم جماعة المسلمين، وحذر من الخروج عليها، كما حذر من الفرقة؛ لأنها مظنة تبليس الشيطان وتضليله، والجماعة من ذلك أسلم وأبعد، ولزومها طريق للفوز بالجنة ونعيمها. ثم أن رأي الجماعة إلى الصواب أقرب، ووقوع الخطأ منها أبعد، فبتكرار لفظ الجماعة في الأحاديث: يُفهم أن مدار التأكيد على لزوم الجماعة، كونها أقرب للصواب، وأبعد عن الضلالة.. (109).

رابعاً: الوقوع في الشقاق:

يقول الباري في التنزيل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: ١٧٦). يبين الله في الآية أن اليهود والنصارى لما اختلفوا في كتابه وكفروا به بما أنزل على نبيه -صلى الله عليه وسلم- صاروا بذلك إلى منازعة ومفارقة وخلاف بعيداً عن الحق والصواب، مستوجباً لأشد العذاب (110).

(107) سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، (4/465)، (برقم: 2165)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقد أورده الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف سنن الترمذي (برقم: 2165)، وقال: صحيح ابن ماجه (2363).

(108) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (359/22).

(109) انظر: التحزب والافتراق أسباب وآثار، مريم بنت محمد باكوين، ص: 452.

(110) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (480/1).

والناظر لواقع المسلمين تخلص إلى أنهم لما لم يجتمعوا على الحق الموجب للاتفاق والاجتماع في دعوتهم ووحدة كلمتهم على الحق، حتى كثر شقاقهم وتشعبت آراؤهم وضعت كلمتهم، وطفى القوي على الضعيف؛ فحققت عليهم العقوبات ولحقهم الدل والهوان، وتسلبت عليهم الأعداء، ولم تقم عليهم قائمة، فأصبحوا غثاء كغثاء السيل.

خامساً: الفضل وذهاب القوة:

وهي توضيح للفقرة السابقة: أنه نتيجة طبيعية للتحزب والافتراق، ولا غرور كما أخبر بذلك الباري سبحانه فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦). أي: "والتخصيص بالذكر هنا فيه تأكيد ولا تنازعوا أي باختلاف الآراء، أو فيما أمرتم به فتفشلوا أي تجبنوا، إذ لا يتقوى بعضكم ببعض. وتذهب ريحكم أي قوتكم وغلبتكم، ونصرتكم ودولتكم، شبه ما ذكر في نفوذ الأمر وتمشيته، بالريح وهبوبها .."(111).

والتعبير القرآني بفاء الترتيب والتعقيب (فتفشلوا): للدلالة على سرعة وقوع الفضل بعد الفقرة، وعبر عن القوة بالريح؛ للدلالة على ذهابها بسرعة كسرعة الريح، وحلول الضعف مكانها، وفيه إشارة لشمولية الفضل لجميع مناحي الحياة، وهو ما يعني موت الأمة بأسرها، حتى تعدو أعداداً بلا عُدّة، وأرقاماً بلا معنى(112).

ولا أدل على ذلك من واقع المسلمين في أكثر البلاد الإسلامية، التي نجح فيها العدو بإثارة النزعات العرقية، والنعرات الجاهلية، والخلافات الطائفية، قد أنشب كل فريق أظفاره في أخيه المسلم، واستفرغ كل طاقاته للقضاء عليه، فأعماهم الجهل والهوى، والتحزب والتفرق، والبعد عن منهج الله عن بلوغ الهدف المنشود، فهانت عليهم أنفسهم، كما هانت دماء إخوانهم في الدين، فعم أرجاء بلاد الإسلام تسلط الأعداء، وأصبح جسد الأمة عكس ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه(113).

(111) المرجع السابق، محمد جمال الدين الفاسمي، (305/5).

(112) أسباب الفقرة وآثارها في حياة الأمة وسبل العلاج من منظور قرآني، نايل ممدوح أبو زيد، ص: 419.

(113) انظر: التحزب والافتراق _أسباب وآثار_، مريم بنت محمد باكوين، ص: 453.

سادساً: ضعف الأمة واستحقاقها العذاب:

ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: "خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقي في وجنتيه الرمان، فقال: "أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"⁽¹¹⁴⁾. فكان التنازع والاختلاف أشد شيء على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان إذا رأى من أصحابه اختلافاً يظهر في وجهه، ويحذرهم منه؛ لأنه سبب هلاك الأمم السابقة⁽¹¹⁵⁾. حرصاً منه على أمته لئلا تختلف كما اختلفوا فتهلك كما اهلكوا، كما قال الباري في التنزيل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

سابعاً: براءة النبي -صلى الله عليه وسلم- من المتفرقين والمتحزبين، وحجزهم عن حوضه، وسواد وجوههم:

لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ لَكُمْ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنِيتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "إن الله أخبر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه، وكانوا فرقاً فيه وأحزاباً شيعاً، وأنه ليس منهم. ولا هم منه، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام، دين إبراهيم الحنيفية"⁽¹¹⁶⁾. ولقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "وهي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وهي وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف"⁽¹¹⁷⁾. وفي الحديث:

(114) سنن الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، (4/443). وصححه الألباني وقال حسن (برقم: 2133).

(115) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، (1/198).

(116) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (12/271).

(117) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: 142.

"...ألا ليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا"(118).

ففيه إشارة إلى إبعاد أناسٍ عن حوضه -صلى الله عليه وسلم- فلا يشربون منه، وبدخل فيه كلَّ من "بدل أو غير أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه، الموسدة الوجوه"(119).

وبهذا تبين أن الابتداء واحداث ما لم يأذن به الله -تعالى- يدل على الافتراق عن شرع الله وله مخاطر عظيمة، وآثار وخيمة على ضعف الدعوة، وجمع الكلمة بين الدعاة، وأنها سببٌ في محو البركة، والنكال من الله، والواجب على المسلم الإلتزام والتمسك بهدي سبيل القويم، لينال الفلاح والمنوبة في الدارين.

المطلب الرابع: مسئولية العلماء والدعاة تجاه التحزب

إنَّ للعلماء والدعاة منزلةً عظيمة في المجتمع المسلم، فهم ورثة الأنبياء، كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق -صلوات ربي وسلامه عليه-، وأنَّ غياب أثر العلماء أو انشغالهم مدعاة لتصدير غير الأكفاء الذين يضلون الناس بالفتوى بالباطل، وحينذاك يتعرض المجتمع للهلاك، ولا سيما فيما نعيشه الواقع العصيبة التي تمر به العالم الإسلامي ومجتمعاتها، من الشقاق والخلاف، ووسائل الإعلام قد غدت شرارتها مؤثرة في حياة الفرد والمجتمع، وأصبحت هي التي تصنع العقول والميول والأذواق والاتجاهات الفكرية والنفسية عند أغلب الناس، قال العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: "فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة، ومناقشة كل جماعة أو جمعية ونصح الجميع بأن يسروا في الخط الذي رسمه الله لعباده، ودعا إليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن تجاوز هذا واستمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله -فإنَّ الواجب التشهير به، والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يجتنب الناس طريقهم، وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا باتباعه في قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣). ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً؛ لأنَّ اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون

(118) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، (218/1)، من حديث أبر هريرة رضي الله عنه.

(119) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (168/4).

لكفاحه ذلك والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرضون على تقريظ كلمة المسلمين، وتشيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه⁽¹²⁰⁾.

ويبرز دور العلماء والدعاة في المجتمع نحو الافتراق والتحزب، فيما يأتي:

أولاً: استشعار العلماء والدعاة مسؤوليتهم تجاه فكر الافتراق والتحزب وعليهم أن يدركوا خطورة سلوك هذه الظاهرة، وخطرهما على الأفراد والمجتمعات.

ثانياً: السعي لتوعية المنخرطين في هذا الفكر المضلل وما يسيطر عليهم من الأفكار المنحرفة؛ لأنهم مكلفون بتحمل المسؤوليات ولما يترتب على توعية أصحاب هذا الفكر من سعادة الأمة في حاضرها ومستقبلها وذلك بحفظ دينها وقيمها وأمنها واقتصادها ووحدتها.

ثالثاً: إرشاد الناس وتوجيههم إلى أهمية اجتماع الكلمة والنهي عن الافتراق والتحزب، والتأكيد على خطورة ذلك، وعواقبه، وتبصير الناس بأبعاد القضية، وتقنيد الادعاءات الزائفة، وكشف زيف أهل الباطل، وإعلام الناس بغاية الشريعة الإسلامية ومراد دينهم منهم أفراداً ومجتمعاً.

رابعاً: إعلام الناس بالمنهج التوجيهي الصحيح الذي يسير عليه العلماء والدعاة والذي يجب على الناس إتباع أصحابه والتمسك بتوجيههم وإرشادهم دون من سواهم. وتحذير الناس من المناهج التي تعتمد على الآراء والأهواء والأغراض دون نظر إلى مراد الشرع ومقصد الحق.

خامساً: توجيه أفراد المجتمع للمحافظة على هويتهم وانتمائهم لعقيدتهم وقيمهم ووطنهم، انتماء تغمره أحاسيس العزة والتضحية؛ لأن هذا الانتماء يعيد حياة الفرد في ضميره الذي يشكل أهم أبعاد شخصيته، كما أنه يعيد حياة الفرد في الدولة التي يعيش فيها، ويقوم بدور مهم في إخلاصه وجديته في العمل من أجل إثبات استحقاق نعمة العيش في ظلها.

سادساً: بيان انعكاس سلوك التحزب والتفرق والتشردم على صورة الإسلام وأهله عند غير المسلمين. وعلى العلماء إبراز الأثر السلبي الذي يحدثه هذا السلوك في الصدّ عن دين الله تعالى؛ حتى لا يحمل أحدٌ معول الهدم للدعوة والإسلام وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

(120) مجموع فتاوى، عبد العزيز بن باز، (4/137).

سابعاً: أنّ واجب العلماء والدعاة وطلاب العلم التركيز على الشباب وأن يوجهوا جُلّ اهتمامهم لتربية هذه الجموع، ويبيّنوا لهم الطريق الصحيح، لئلا تفرق السفينة بمن فيها، وأن يرشدوهم ويأخذوا بأيديهم إلى المسلك الحسن والمنهج الوسط، فنحن أمة عدل وسط.⁽¹²¹⁾

ثامناً: مخالطة الحزبية بضوابط شرعية؛ حيث كان منهج المصطفى - صلى الله عليه وسلم - المخالطة مع جميع أصناف البشر صغيرهم وكبيرهم، مسلمهم ومناققهم على حدٍّ سواء، وذلك تعليمهم أمور دينهم وديناهم والتعرف على أحوالهم، وأخبارهم، وقضاء حاجاتهم الدينية، والدينيّة، والمخالطة خير من الاعتزال، إلّا عند الفتن كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

ولها فوائد يكسبها المرء ومنها:

(1) التعلم والتعليم.

(2) التأدب والتأديب والمقصود بالتأدب: ترويض النفس على التحلي بالأخلاق التي لا تظهر إلّا بالاحتكاك مع الآخرين، ويكسب منها فوائد عدّة مثل: التضحية، والإيثار، والتعاون والصفح، واللّه تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

(3) التربية على العمل.

(4) نيل الثواب وترويح للنفس.

(5) معرفة الواقع المحيط بالداعية، والاستعداد لها.

(6) معرفة أحوال الناس وحاجاتهم.

وذلك وفق آداب وضوابط شرعية على المسلم مراعاتها، وهي:

1. حفظ الوقت والاعتناء به.

2. التفاعل مع البرامج الدعوية العامة مثل: الدروس العلمية، والمحاضرات، وحلقات العلم وغيرها.

3. الجماعية لمن أراد أن يختلط بالناس.

(121) انظر: الحزبية خنجرٌ مسموم طعنت به أمة الإسلام، أ.د. عبد الله بن محمد أحد الطيّار، ص: 133-134.

4. ترك فضول الصحبة.

5. القصد في العزلة والخلطة؛ لأنَّ الإفراط في كل شيء مذموم، وخير الأمور أوسطها.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: "والطريقة المثلى في هذا الباب ألا تمتنع من حق يلزمك للناس وإن لم يطالبوك به وألا تنهك لهم في باطل لا يجب عليك وإن دعوك إليه فإن من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه ومن انحل في الباطل جمد عن الحق، فكن مع الناس في الخير وكن بمعزل عنهم في الشر وتوخ أن تكون فيهم شاهدا كغائب وعالما كجاهل"⁽¹²²⁾.

(122) العزلة، حمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخطابي، ص: 97.

خلاصة البحث ونتائجه

لقد تناول هذا البحث داء عضال أبليت به الأمة الإسلامية، والتي تشكل ظاهرة مجتمعية في أوساط المجتمعات الإسلامية عموماً، والجماعات الدعوية المعاصرة خصوصاً، فانعكست آثارها ومسؤولها المقيمة في المجتمعات الإسلامية، والتي تمثلت في صورة التحزب والتفرق بسبب البعد عن أصل الدين وأساسه وهو التوحيد، والجهل بالشرع الحميد والسعي ما استحسن له الهوى وملذاته؛ حتى شتت شمل الأمة فأدى أمة الدعوة إلى حافة الوهن والانهيار والقصور بسبب هذه الظاهرة المقيمة. وبمقتضى ما تقدم؛ فقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

- الظاهرة الفكرية في صورة التحزب والفرق متفشية في أوساط الجماعات الإسلامية وحرى لكل ذي لب وصاحب علم وفقه الاعتراف بوجود هذه الظاهرة، ومعالجتها بميزان المنهج الدعوي السوي الذي كان عليه الصحابة والتابعين.
- إن مستقبل الدعوة الإسلامية يواجه الصعوبات وعراقيل حقيقية نتيجة لانتشار روح التحزب والتفرق بسبب البعد عن منهج النبوة القائم أساسها على التوحيد؛ والتي يعول عليها الدعوة الإسلامية.
- إهمال الدعاة والجماعات المنتسبة إلى الدعوة والتوحيد، فكان السبب الرئيسي في صناعة الفرقة والتحزب، والمؤدي إلى ضعف الإسلام ودعوتها.
- أسهمت الحزبية في تأجيج روح العداء والصراع بين الجماعات الإسلامية؛ حيث سعت كل جماعة لاحتكار المشروع الإسلامية لنفسها ونفيها عن الآخرين.
- مسؤولية العلماء والدعاة في بيان آفة التحزب والتفرق قائمة؛ فإن الدعوة الإسلامية لن تثمر ولن تتجح ما دام هناك انقسامات طائفية وحزبية، وبدورهم معالجة هذه الظاهرة في بيان الحق بالكتاب والسنة، والتي هي أحسن، خدمة للدين والدعوة، وتزيل الدعوة وبيانه بمنهج الصحيح عملياً في حياة الناس.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المراجع العامة:

- 1.الإبانة الكبرى لابن بطة، عبيد الله بن محمد بن محمد المعروف بابن بطة العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، (بدون)، الرياض، (بدون).
- 2.الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، معالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، جمع وتعليق: جمال بن فريحان الحارثي، دار المنهاج، (ط4)، القاهرة، 1426هـ.
- 3.أسباب الفرقة وآثارها في حياة الأمة وسبل العلاج من منظور قرآني، نايل ممدوح أبو زيد، جامعة مؤتة، الأردن، كلية الشريعة، (بدون).
- 4.الاستقامة، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني تحقيق: د.محمد رشاد سالم، (ط1)، جامعة الإمام محمد بن سعود - فرع المدينة المنورة، 1403هـ.
- 5.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، (ط1)، مكة المكرمة، 1426هـ.
- 6.إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، (ط1)، بيروت، 1411هـ.
- 7.إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، (بدون)، الرياض، (بدون).
- 8.البابية -عرض ونقد-، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنّة، (ط2)، باكستان، 1979م.
- 9.بذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، اعتنى به: تقي الدين الندوي، دار البشائر، (ط1)، بيروت، 1427هـ.
- 10.البهائية -نقد وتحليل-، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، (ط2)، باكستان، 1401هـ.

- 11.تحصين الأمة من الفرقة والاختلاف، محمود محمد الصميدعي، دار النهضة، (ط1)، دمشق، 1429هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم، (ط1)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ.
- 12.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط1)، (بدون)، 1420هـ.
- 13.جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1)، (بدون)، 1420هـ.
- 14.الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، (ط2)، القاهرة، 1384هـ.
- 15.حكم الانتماء إلى الأحزاب والفرق والجماعات الإسلامية، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الحرمين، (ط1)، القاهرة، 1426هـ.
- 16.درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (ط1)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1411هـ.
- 17.ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، عبد الله بن محمد الغنيمان، دار ابن الجوزي، (ط1)، 1433هـ.
- 18.سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، (ط1)، (بدون)، 1430هـ.
- 19.سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بدون)، بيروت، 1998م.
- 20.السياسة الشرعية ومنهج الإخوان المسلمين -رسالة دكتوراه-، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز، جامعة الإمام، 1433-1434هـ.
- 21.سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط3)، (بدون)، 1405هـ.

22. شرح السنة ، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ، المكتبة الشاملة.
23. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، (ط1) ، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، 1422هـ.
24. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، (بدون) ، بيروت ، (بدون).
25. العزلة ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، المطبعة السلفية ، (ط2) ، القاهرة ، 1399هـ.
26. عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية ، (ط1) ، بيروت ، 1410هـ.
27. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، (بدون) ، بيروت ، 1379هـ.
28. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود ، وآخرون ، مكتبة الغرباء الأثرية ، (ط1) ، المدينة النبوية ، 1417هـ.
29. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، دار الآفاق الجديدة ، (ط2) ، بيروت ، 1977م.
30. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، مكتبة الخانجي ، (بدون) ، القاهرة ، (بدون).
31. الفقيه والمتفقه ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي ، دار ابن الجوزي ، (ط2) ، السعودية ، 1421هـ.
32. القاديانية ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، (ط2) ، باكستان ، (بدون).
33. القول البليغ في التحير من جماعة التبليغ ، حمود التويجري ، دار الصميعة ، (ط1) ، الرياض ، 1418هـ.

- 34.مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ.
- 35.مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، مكتبة الشاملة المرقم الآلي.
- 36.محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (ط1)، بيروت، 1418هـ.
- 37.المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (ط1)، بيروت، 1411هـ.
- 38.معالم التنزيل في تفسير القرآن الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، (ط1)، بيروت، 1420هـ.
- 39.المعجم الفلسفي، المجمع العلمي في القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (بدون)، القاهرة، 1403هـ.
- 40.المعجم الفلسفي، جميل صليبا، منشورات ذوي القربى، (ط1)، ايران، 1385هـ.
- 41.الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، (بدون).
- 42.مناهج الدعوة والتيارات الدينية والفكرية -قديماً وحديثاً-، دراسة وصفية تحليلية، أ.د.عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، (ط1)، الرياض، 1440هـ.
- 43.منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ط1)، 1406هـ.
- 44.النكت والعيون، علي بن محمد بن محمد بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، (بدون)، بيروت، (بدون).



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة دولية شهرية علمية محكمة
التقييم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
التقييم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي